

المركز الاستيطاني حمر العين من خلال بعض وثائق

الأرشيف السويسري سنة 1851.

محمد سليماني¹، علي بشير بلمهدي²

1- جامعة مصطفى اسطبولي، معسكر، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية

mohamed.slimani@univ-mascara.dz

2- جامعة مصطفى اسطبولي، معسكر

ali.bachirbelmahdi@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2020/01/28؛ تاريخ القبول: 2020/10/26

The settlement center in Ameer Al-Ain through some documents of the Swiss Archives in 1851.

A: Slimani Mohamed, B; Bachir Belmehdi Ali

Abstract: The sample of this modest work is closely related to colonial politics during the era of the Second French Republic (1848-1852), and this is by highlighting the settlement centers and European immigration towards the plain of Al-Matija, as we selected one of the settlement centers as a model, which is the village of "Ameer El-Ain" The Foundation in the year 1849 after the Constituent Assembly Decree of 1848, to allocate a budget to the French Ministry of War for the establishment of settlement villages on the occupied lands of Algeria, as a result of which a group of poor Swiss immigrants allowed to settle a part of the western result, these settlers brought different conditions to the island R, and directed them several factors to "Red Eye" in 1851, they lived for the first half of the year in good conditions, but soon the situation reversed due to the sudden change of climate that they did not familiarize, claimed the lives of some, and most of them left the center, and a few of them remained compatible with the vanguard of the new climate.

Some of the documents related to the recently published Swiss diplomatic archive show us the phenomenon of Swiss

immigration towards Algeria in general, and Red Eye in particular, by reviewing the stages of the establishment of the center, the origins and population of immigrants, and their health, material and moral status.

Keywords: Settlement centers; Settlement Center "Ameur EL-Ain" (Mitidja); the Swiss community; the Second Republic; social conditions.

المخلص:

عينة هذا العمل المتواضع مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسياسية الاستعمارية في عهد الجمهورية الفرنسية الثانية (1848-1852)، وهذا بتسليط الضوء على المراكز الاستيطانية، والهجرة الأوربية نحو سهل المتيجة، إذ انتقينا أحد المراكز الاستيطانية بها كنموذج، وهي قرية "حمر العين" "Ameur El-Ain" المؤسسة سنة 1849 بعد مرسوم الجمعية التأسيسية لعام 1848، والقاضي بتخصيص ميزانية لوزارة الحربية الفرنسية لإقامة قرى استيطانية على أرض الجزائر المحتلة، على إثره سمح لمجموعة من المهاجرين السويسريين الفقراء استيطان جزء من المتيجة الغربي، هؤلاء المستوطنون جاءت بهم ظروف مختلفة إلى الجزائر، ووجهتهم عدة عوامل إلى "حمر العين" سنة 1851، عاشوا نصف السنة الأولى في أوضاع جيدة، لكن سرعان ما انقلبت الأوضاع بسبب التغيير المفاجئ للمناخ الذي لم يألفوه، أودى بحياة البعض، وغادر أكثرهم المركز، وبقي القليل منهم يتلاءم مع طبيعة المناخ الجديد.

وتُبرز لنا بعض الوثائق الخاصة بالأرشيف السويسري الدبلوماسي المنشورة مؤخرا، ظاهرة الهجرة السويسرية نحو الجزائر عامة، و"حمر العين" خاصة، باستعراض مراحل نشأة المركز، وأصول وتعداد المهاجرين، بالإضافة إلى أوضاعهم الصحية والمادية والمعنوية.

الكلمات المفتاحية: المراكز الاستيطانية؛ المركز الاستيطاني "حمر العين" (المتيجة)؛ الجالية السويسرية؛ الجمهورية الثانية؛ الأوضاع الاجتماعية.

مقدمة:

عملت السلطات الفرنسية بعد احتلال الجزائر، على إحلال العناصر الأوربية محل العنصر الأصلي، من خلال إنشاء المراكز الاستيطانية، التي تعتبر النواة الحقيقية للاستيطان، فجلبت مهاجرين من مختلف دول أوربا، ومنحتهم الامتيازات والتسهيلات اللازمة من أجل البقاء، وهذا بعد فشلها في تعمير الجزائر بالعنصر الفرنسي.

وفي فترة الجمهورية الفرنسية الثانية (1848- 1852)، أنشئت العديد من المستوطنات بالجزائر، خاصة بسهل المتيجة، لتوطين مهاجرين من فرنسا، واقتصرت هذه المرة على فئة العمال الثائرين.

اخترنا في دراستنا هذه المركز الاستيطاني "حمر العين" كنموذج من خلال بعض وثائق الأرشيف الدبلوماسي السويسري، وهو الذي استقبل مجموعة من العائلات السويسرية خلال سنة 1851، والتي نزحت بسبب الظروف التي كانت تعرفها أوربا، والدعاية الفرنسية التي وجهتها نحو الجزائر.

واقتضت منا الضرورة تناول الموضوع في محاور مختلف تحكمت فيها المادة الأرشيفية المستعملة، وعلى ضوء هذا نقدم مجموعة من التساؤلات:

- متى وكيف أنشئ مركز "حمر العين" الاستيطاني؟
 - وما مدى التطور الديمغرافي للجالية السويسرية بالقرية؟
 - وما هي الظروف والتطورات التي مر بها هؤلاء المستوطنون؟
- المركز الاستيطاني "حمر العين":

عقب الأحداث الدموية التي شهدتها فرنسا خلال شهر جوان 1848، بسبب تمرد الشعب الفرنسي ضد التحول المحافظ في حكومة الجمهورية الثانية، (Guichonnet Paul, 1972:17) وجد 100.000 عامل في الورشات الفرنسية الناشئة حديثا أنفسهم بدون عمل، فتشككت

لجنة للنظر في إرسال هؤلاء البطالين إلى الجزائر. (بن داهة عدة، 2008: 49).

ليشهد الاستعمار الفرنسي في الجزائر حسب بول غيشوني على ولادة شكل جديد من أشكال الاستيطان، سماه بالاستيطان البروليتاري، (Guichonnet Paul, 1972:17) لكن في الحقيقة هو عبارة عن استيطان رسمي، لا أكثر ولا أقل.

وفي يوم 19 سبتمبر 1848 صادق نواب الجمعية التأسيسية على مرسوم يقضي بتخصيص اعتماد مالي قدره خمسين مليون فرنك فرنسي على مدى أربع سنوات (1848- 1851) لوزارة الحربية، من أجل إنشاء مستعمرات زراعية بالجزائر، (Maxime Rasteil, 1930:168, 169) مقسمة كالاتي: خمسة ملايين لعام 1848، عشرة ملايين 1849، و35 مليونا خلال السنوات اللاحقة. (أجيرون شارل روبير، 2013: 602)

وحدد عدد المستفيدين منه بـ: 12 ألف مستوطن فرنسي، على أن يتحصل هؤلاء على قطع أرضية زراعية بالمجان، تتراوح مساحتها ما بين 02 إلى 10 هكتار للعائلة الواحدة، على أن لا تتجاوز المساعدات الخاصة باستصلاح الأراضي الثلاث سنوات. (Maxime Rasteil, 1930:168, 169)

وكان هدف الاستعمار الفرنسي من وراء هذا المشروع، هو التخلص من العناصر الثائرة في شوارع باريس، وتحفيزها على الهجرة نحو الجزائر.

ونجد في طيات التقرير الذي أرسله قنصل الولايات المتحدة الأمريكية السيد "ستوكلي" (Stuckli) بصفته كذلك قنصلا لسويسرا في الجزائر، إلى المجلس الفيدرالي السويسري، تصريحاً بتخصيص 40 مليون فرنك فرنسي لتوطين العائلات الفرنسية الثائرة بالجزائر. (Dodis, E 2 /1216, 1851 :277)

ولاحتضان الوافدين الجدد شرع بسرعة في تطبيق المرسوم سنة 1848، فتم إنشاء 42 مركزا استيطانيا، كان نصيب مقاطعة الجزائر منها 12 مركزا.

وفي عام 1849 وصل 13.500 مستوطن فرنسي جديد، فأضيفت الحصة الثانية في 19 ماي من نفس السنة لتوطين المهاجرين الجدد، أين قرر على إثرها إنجاز 12 مركزا استيطانيا جديدا، أقيمت خمسة منها بسهل المتيجة، منها مستوطنة "حمر العين" (Guichonnet Paul, 1972:18)

اختير مكان مركز "حمر العين" من طرف لجنة الاستيطان على الضفة اليسرى من وادي الشفة في بلاد سيدي الشريف، (حسيني عائشة، 2012/ 2013: 335) غرب سهل المتيجة تحت سفح جبال الأطلس، متوسطا قريتي مارينجو (Maringo) (الحجوط حاليا) والعفرون، ويعتبر المركز ملحقا لهاته الأخيرة. (Dodis, E2 /1216, 1851:277)

وتقع المستعمرة الزراعية غرب الجزائر العاصمة على بعد 60 كلم (96 : Jean-Maurice Di Costanza, 2001)، و24 كلم غرب مدينة البلدية، أما شرقا فتبعد بمسافة 14 كلم عن قرية مارينجو (الحجوط حاليا). (Victor Berard, 1867 :249)

بدأت فرقة من الهندسة العسكرية التابعة للجيش الفرنسي في تشييدها بعد صدور مرسوم الجمعية التأسيسية لعام 1848، وهذا لاستقبال المهاجرين الفرنسيين الذين وجهتم حكومة الجمهورية الفرنسية الثانية إلى الجزائر. (Dodis, E2 /1216, 1851 :277)

وبعد انتهاء الجيش الفرنسي من بناء منازل القرية الجديدة البالغ عددهم 51 منزلا في شهر ماي من عام 1850، خصص منزلين للإدارة، و49 الباقية اتخذت مساكن للمستوطنين، الذين كان من المقرر أن يصل عددهم بالمركز عن ما يزيد عن 100 فرد.

شيّدت القرية على شكل مستطيل طوله 500متر، وعرضه 250متر، بمساحة تقدر بـ: 125 ألف متر مربع. وكل مسكن بني وفق نموذج موحد: غرفتين بالبلاط على شكل مستطيل، طولها 5م وعرضها 3.5م، بمساحة 17.5م مربع. (Eric Maye, 1995 : 181)

توطين الجالية السويسرية بالمركز:

بقيت مستوطنة "حمر العين" شاغرة مثلها مثل باقي مستوطنات 1848 و1849، بعد اختفاء العائلات الفرنسية التي كان من

المنتظر أن تسكنها، (Dodis, E2 /1216, 1851 :277) وعلى إثر هذا أصدرت السلطات الفرنسية يوم 19 سبتمبر 1849، قرار يقضي بإيقاف قوافل الهجرة الفرنسية إلى الجزائر. (Eric Maye, 1995 : 181) وبعد فشل هذه التجربة، تدخل القنصل السويسري في الجزائر لدى الحكومة الفرنسية لأجل تثبيت قافلة من المهاجرين السويسريين من إقليم فاله (Valais) السويسري في مستوطنة "حمر العين"، على المنازل التي بنيت عام 1850. (Dodis, E2 /1216, 1851 :277) في 02 جانفي 1851 نزلت "بحمر العين" ثمانى عائلات سويسرية من إقليم فاله، تضم 53 مستوطنا معظمهم من السكسونيين بالجزائر العاصمة على متن سفينة قادمة من ميناء طولون (Toulon) الفرنسي. (Eric Maye, 1995 : 182) .

استقرت هذه الأسر بالمستوطنة بعدما خصصت لهم السلطات الفرنسية أربعة منازل بالركن الجنوبي الغربي للقرية، مع منحهم مساعدات مجانية تمثلت في، الغذاء، والبذور، والأدوات الزراعية. (Guichonnet Paul, 1972:20)

واشتدت الهجرة السويسرية إلى الجزائر مع بداية سنة 1851، خاصة من فاله، أين حل بالجزائر 444 مهاجرا نصفهم أطفال (132 رجل، 90 امرأة، و222 طفل)، غالبيتهم لا يملكون وسائل عيشهم، لكنهم وجدوا الظروف المناسبة والمشجعة على الاستقرار. (Dodis, E2/1361, 20 mai 1851 :246.)

وأصبحت قوافل المهاجرين السويسريين الفاليزيين خلال هذه السنة موجهة بدرجة كبيرة نحو "حمر العين"، والسبب ربما يعود لكون مدير المركز ميشال بلان (Michel Blanc)، سويسري الأصل، ومن إقليم فاله. (Dodis, E2 /1216, 1851 :277, 278)

وما بين منتصف جانفي ونهاية شهر فيفري، وصلت إلى ميناء الجزائر خمس عائلات جديدة مكونة من 28 شخصا، استوطنوا بقرية "حمر العين"، فبلغ عدد المهاجرين السويسريين 81 مستوطنا (17 رجل، 18 امرأة، 46 طفل)، بمجموع 13 عائلة.

كما رست سفينة أخرى قادمة من ميناء طولون الفرنسي في شهر أفريل، تحمل على متنها 21 عائلة من فاله، تحولت منها 20

عائلة (72 شخص) صوب المركز الذي وصلته في 04 أفريل، لتجمع القرية آنذاك 33 عائلة بمجموع 153 نسمة كلهم سويسريين (36 رجل، 37 امرأة، 80 طفل).

اعتبرت السلطات الفرنسية العائلات السويسرية التي استقرت في مركز "حمر العين" حتى شهر أفريل مواطنين كاملي الحقوق، لهم نفس الحقوق، وعليهم نفس الواجبات مع المستوطنين الفرنسيين، ولا يستفيد الوافدون الجدد من هذه المزايا وفقا للمرسوم الذي صادق عليه وزير الحربية في جويلية.

وكانت غاية الحكومة الفرنسية من هذا القرار هو الحد من ظاهرة هجرة العائلات السويسرية من إقليم (فاليف) الفقير إلى الجزائر، وجذب عائلات أخرى ثرية، لأن أغلبية المهاجرين لا يملكون موارد كافية للعيش، مع عدم قدرة ميزانية وزارة الحرب على استيعابهم. رغم ذلك، تواصل توافد الجالية السويسرية إلى "حمر العين" ضاربة تعليمية وزير الحربية عرض الحائط، بعدما جاءت في شهر ماي، 12 أسرة إلى المستوطنة، من أصل 36 أسرة (198 شخص) أنتت إلى الجزائر.

وفي 27 جوان التحقت أيضا 14 عائلة جديدة بالقرية، لتضم "حمر العين" حتى هذا التاريخ 235 نسمة (63 رجال، 61 امرأة، 101 طفل)، (185، 184، 183 : Eric Maye, 1995) وفي الخامس عشر من شهر جويلية، ومن أصل 25 أسرة قادمة من منطقة فاليف السفلى نزلت بالجزائر، 11 عائلة منها استوطنت "حمر العين". (Guichonnet Paul, 1972:24)

بلغ تعداد سكان المستعمرة الزراعية في صيف 1851 ذروته، بحيث أحصيت في جويلية 60 عائلة، بمعدل 287 نسمة حسب ما ورد في أحد تقارير مدير المستوطنة ميشال بلان، (Jean-Maurice di Costanza, 2001 : 96) (117 رجل، 114 نساء، 56 طفل)، (Eric Maye, 1995 : 185) ويذكر القنصل السويسري في الجزائر أن الجالية السويسرية ب"حمر العين" بلغت 294 نسمة سنة 1851. (Dodis, E2. 1851 : 278) /1216,

في نهاية السنة انخفض تعداد المستوطنين السويسريين بالقريبة بشكل رهيب، وهذا راجع للوضع الصحي المتدني الذي عانته خلال فصل الصيف والخريف. إذ بحلول شهر ديسمبر اختفى 77% من السكان، بعدما أصبحت هناك 22 أسرة (97 شخص) فقط (Jean- Maurice di Costanza, 2001 : 96)

وبالتالي نلاحظ أن التجمع السكني الناشئ حديثا ب"حمر العين"، عرف توطين مهاجرين من نفس التركيبة العرقية في هذه السنة، وهم من أصل فاليزي سويسري.

إن الاختلاف الموجود في المراجع المعتمدة حول دراسة تطور الجالية السويسرية بمركز "حمر العين"، وحتى في المرجع الواحد، يجعلها ناقصة، وبهذا حاولنا من خلال هذا الجدول التالي سد بعض الثغرات، ولو قليلا.

تطور عدد المهاجرين السويسريين بمركز "حمر العين" سنة

1851:

الشهر	الأسر جدد/ الكل	نسمة
جانفي	08/-	53/-
2/1 جانفي- نهاية فيفري	13 /5	81/28
أفريل	33/20	153/72
ماي	45/12	210/57
جوان	59/14	235/25
جويلية	70/11	294 أو 287/52
أوت - ديسمبر	رحلت 38/ بقيت 22	90/133 أو 97

المصدر: أنجز الجدول بناء على المعلومات الواردة في الوثائق الأرشيفية والمراجع التالية:

-(Eric Maye, 1995 : 182- 185), (Dodis, E2 /1216, 1851 :277), (jean- Maurice di Costanza, 2001 : 96), (Guichonnet Paul, 1972:24).

يبين لنا الجدول المنجز زيادة عدد السكان السويسريين في المستوطنة خلال سنة 1851، بداية من شهر جانفي، إلى غاية الفترة الممتدة من ما بين شهري أوت وديسمبر، حيث تراجع عددهم بداية من

هذا التاريخ بنسبة 57.8% من إجمالي المستوطنين الذين ثبتوا بالمركز، وبقاء 42.8% فقط.

الأوضاع الاجتماعية للجالية السويسرية ب"حمر العين":

قبلت الإدارة الاستعمارية العائلات السويسرية المهاجرة عند نزولها بميناء الجزائر العاصمة في مؤسسة عرفت باسم "مستودع العمال"، كمحطة عبور ليثبتوا في مستوطنات بمختلف أنحاء الجزائر، مع إيوائهم على نفقة الحكومة الفرنسية. ووجدوا في عدة مراكز بمقاطعة الجزائر، على غرار العفرون، القليعة، الدواودة و"حمر العين".

واستقبلت هذه الأخيرة عددا كبيرا من المستوطنين السويسريين خلال سنة 1851، والبالغ عددهم 294 (Dodis, E2 /1216, 1851:278) وكما سبق الذكر، اعترفت الحكومة الفرنسية بالوافدين الجدد بعد التثبيت النهائي لهم في هذه النقطة (Eric Maye, 1995: 184)، من خلال منحهم امتيازات كاملة، مثلهم مثل المهاجرين الفرنسيين، عن طريق توزيع الحصص الغذائية، والأراضي الزراعية، والمواشي، وأدوات الحرث؛ حيث كان يملك المستوطنون خلال ثلاث أشهر الأولى، 41 معزقة، و14 مسحة، و14 معولا للحفر، و14 مجرفة مربعة، و14 منجلا، (Guichonnet Paul, 1972:33) وهذا كما جرى تنظيمه وفق مرسوم 1848.

كانت المستعمرة تدار بانتظام، حيث استفادت العائلات السويسرية بكل أنواع المساعدات بعدل وإنصاف (Dodis, E2 /1216, 1851:279). فضلا عن تزويد النساء بكافة المعدات الضرورية لهن مثل الخيوط، الإبر والصابون.. الخ. ومنحت النازلين الجدد- بعد قرار التثبيت-، مواد البناء لتسريع عملية بناء مساكنهم، وأمتعة التخيم، والبطانيات، والملابس. (Eric Maye, 1995 : 182)

حلت الأسر السويسرية الأولى في منازل "حمر العين" محل الفرنسيين الذي كان من المقرر إسكانهم هناك بعد ثورة جوان 1848، بعد توقف قوافل المهاجرين سنة 1849، (Dodis, E2/1216, 1849:277) وهذا بموجب المرسوم الذي صدر يوم 19 سبتمبر. (Eric Maye, 1995 : 181)

استعملت هاته العائلات بصفتهن مستوطنين غير رسميين كحراس لمنازل "قرى 1849"، إلى غاية تثبيت مستوطنين رسميين، وهي وظيفة جديدة أنشأها الحاكم العام، إلى جانب مساعدات مالية قدرت بـ 375 فرنك، و50 فرنك تدفع كأجور على الحراسة. (Eric Maye, 1995 : 182)

اختلفت الظروف المالية والبدنية للمهاجرين السويسريين، فمن الناحية المالية، كان وضع المستوطنين سيئا للغاية عند الوصول إلى الجزائر، (Dodis, E2 /1216, 1851 :278) لذا وجب على كل أسرة تغادر بلدها أن تحمل معها على الأقل مبلغا من المال يتراوح ما بين 500 و600 فرنك، وأقل من هذا يعتبر مغامرة بالنسبة للمستوطنين. (Dodis, E2 /1361, 20 mai 1851 :247)

لقد رحل هؤلاء عن وطنهم الأم حاملين معهم على الأقل 1000 فرنك للعائلة الواحدة نحو المجهول، وهو مقدار كاف للعيش في سلام، لكن مع الأسف استخدمت هذه النقود بشكل سيء. وعند وصولهم إلى الجزائر العاصمة، كان معظمهم دون أي مورد، وبدرجة أدنى من الفقر. (Dodis, E2 /1216, 1851 :278) وتشجيعا لمواطنيهم، دعا قنصل سويسرا الحكومة الفيدرالية السويسرية ومختلف حكومات الكانتونات إلى مد يد العون لهم، بتقديم المساعدات اللازمة، لتوزع على الناس الأكثر احتياجا، حتى يستمروا في الاستيطان في بلدهم الجديد. (Dodis, E2 /1216, 1851 :279) فأرسل إقليم فاله مبلغ من المال قدر بـ: 345 فرنك وزعها مدير المركز بلان على الجالية بحكمة وعدل. (Guichonnet Paul, 1972:32)

أما من الجانب البدني، فلم يستوفي الوافدين الجدد الشروط اللازمة حتى يتأقلموا مع ظروف بلد تحت نير الاستعمار مثل الجزائر، فغالبيتهم كانوا مرضى، بسبب وطأة الأعمال الأولى الشاقة لتهيئة مستوطنة "حمر العين"، كما أن العدد الكبير للأطفال الصغار وكبار السن الذين جلبوهم معهم، جعل المهمة أكثر صعوبة للعديد من العائلات. (Dodis, E 2 /1216, 1851 :278)

أما عن الجانب الصحي، فقد كان الوضع جيدا، ما عدا بعض الحالات العابرة للإسهال، (Eric Maye, 1995 : 185) إضافة لوفاة طفل

صغير يبلغ من العمر عامين ونصف في 20 فيفري يدعى غاي جوزيف فليكس (Gay Joseph-Félix) (Guichonnet Paul, 1972:33). وبمجرد حلول صيف 1851 قضى السويسريون صيفا صعبا للغاية، دفعوا خلاله الثمن غاليا بارتفاع عدد الوفيات، بعد تدهور الحالة الصحية للمستوطنين. (Guichonnet Paul, 1972:25) تسببت عدة عوامل في الوضع الحاصل، بداية من إقامة المستوطنات الزراعية الأولى على غرار "حمر العين" على أراضي لم تزرع لمدة طويلة، وسط المستنقعات التي كانت مصدرا للأمراض، والتي كان من الواجب تطهيرها، حتى يتمكن المستوطنون من المحافظة على أنفسهم (Dodis, E 2 /1216, 1851 :278)، فكانت عملية تطهير الأراضي هي أول عمل قام به هؤلاء المهاجرين، لكن البعض لم يقم بهذه الأعمال رغم أوامر مدير المستوطنة ميشال بلان المتكررة لهم. (Eric Maye, 1995 : 184)

وهناك عامل آخر يتمثل في التغيير المفاجئ للجو، فبعدما كانت العائلات السويسرية تعيش في مناخ معتدل، وجدت نفسها في مناخ شبه استوائي حار مغاير للذي تركوه في وطنهم الأم. (Dodis, 1851 :279) E2/1216, كما جلبوا معهم بعض الأمراض الجلدية، (Guichonnet Paul, 1972:33) إضافة إلى تخليهم عن تنظيف منازلهم ما يسهل انتشار الأمراض. (Eric Maye, 1995 : 185) ومع بداية الحرارة في شهر جوان 1851 ضربت الملاريا والحمى المالطية القرية، واستمرت بشكل متقطع النظير إلى نهاية السنة. (Jean-Maurice Di Costanza, 2001 : 96) فأودت بحياة 54 شخصا من أصل 294 مهاجرا معظمهم من الأطفال (11 رجل، 7 نساء، 46 طفلا). (Dodis, E 2 /1216, 1851 :278)

وبعد هذه الوضعية الصحية السيئة خصصت الإدارة الفرنسية إحدى المنازل مستوصفا، وأنشئت صيدلية، وأرسل طبيب من العفرون هو الدكتور بارو (Barreau)، والذي أصبح يرتاد على القرية مرتين أو ثلاثة مرات في الأسبوع.

وقد أخذ الوضع منعرجا خطيرا، ففي جويلية منعت الحمى المفاجئة ثلث المستوطنين من العمل، وأجبرت نصفهم على المكوث

بالمستشفى، أغلبهم أطفال وكبار السن، وأصبحت المنازل ممثلة بالمرضى، وبقي حسب ميشال بلان 40 رجلا فقط يعملون في الحقول موسم الحصاد، ليصل في هذا الشهر الطبيب فنسون (Vincent) إلى "حمر العين" وبقي فيها إلى غاية 1852. (Eric Maye, 1995 : 185)
تحسن الوضع في فصل الخريف مع شهر سبتمبر، وبمجرد انخفاض درجة الحرارة، بدأ السكان يستعيدون عافيتهم، وعادت الطاقة والحيوية للمستوطنين بعدما انخفضت درجة الحرارة، وتقلصت حدة المرض والمرضى بشكل ملحوظ. (Guichonnet Paul, 1972: 26)
وكان بإمكان 18 منهم مغادرة المستوصف، حتى يبدؤوا بعملية الحرث قريبا. (Eric Maye, 1995 : 185)

لكن الحمى استأنفت من جديد في شهر أكتوبر 1851 متسببة في عدد من الوفيات، (Jean-Maurice Di Costanza, 2001 : 96)
وبهذا قام الحاكم باستدعاء ضابط المكتب العربي في فترة البذر بين نوفمبر وديسمبر، لتجنيد السكان الأصليين من الجزائر، بينما عرف عندهم بعرب الدواوير المجاورة لحرث وبذر الأرض مقابل نصف المحصول، لعدم قدرة المعمرين السويسريين على ذلك. (Eric Maye, 1995 : 186)

في الأخير أدت الحمى المتقطعة التي كانت تهاجم المعمرين إلى انهيار شبه كامل في قواهم المادية والمعنوية.
وبعد الأحداث التي حصلت قرر عدد كبير من المستوطنين السويسريين العودة إلى بلادهم، فرجع 133 مهاجرا إلى سويسرا، من أصل 230 بقيت على قيد الحياة، بعضهم مرضى والبعض الآخر غير راضيين عن الوضع الذي يعيشون فيه، كما بقي 97 شخصا اجتهدوا وثابروا في أعمالهم، (Dodis, E2/1216, 1851: 278, 279)
وقد تم إحصائهم بـ 38 عائلة (133 مهاجرا) غادرت المركز، في الفترة ما بين أوت وديسمبر، وهي الأكثر عددا. وفي شهر جانفي 1852، لم يبق في المركز سوى 22 أسرة (97 شخصا). (Eric Maye, 1995 : 186)

استقبل المهاجرون السويسريون العائدون من "حمر العين" إلى أوروبا كما جرت العادة في مكان نزولهم بالجزائر لما قدموا أول

مرة، بمستودع العمال في انتظار الوقت الذي تقلع فيه السفن التي تنقلهم إلى فرنسا مجانا، وكانت هذه الرحلة التي تتم فيها عودة العائلات السويسرية مؤلمة وطويلة عبر أراضي فرنسا بحكم صعوبة التضاريس.

لذا لا يمكن أن نستغرب فشل وتخلي عديد المرضى السويسريين عن منشآتهم التي شيدها ب"حمر العين"، ويأسهم من وطنهم الجديد. بعدما أتوا حاملين في أذهانهم أوهاما بالعيش الهنيء في الجزائر.

وتعود أسباب الفشل، وانتشار الأمراض بالدرجة الأولى لهؤلاء المستوطنين، أضف لها الكسل وانعدام المثابرة في العمل، زيادة على ذلك كل الأسر أثقل كاهلها عدد الأطفال الكبير الذين صحبوهم معهم، وكبار السن.

كما كان بإمكان العديد من المستوطنين الصمود في الأوقات الصعبة، بفضل إعانات الحكومة الفرنسية، ومنحة الحكومة الفيدرالية السويسرية، لتفادي تلك المشاهد المروعة لعودة الجاليات السويسرية إلى أوربا حسب القنصل السويسري في الجزائر. رغم ذلك لم يتمكن بعض السويسريين من مكافحة الأمراض، وغياب الإرادة للبعض الآخر. (Dodis, E2 /1216,1851 :278, 279)

في فيفري 1852 شرعت الحكومة الفرنسية في استبدال العائلات التي غادرت "حمر العين"، واختارت سبع عائلات قادمين من منطقة الألزاس، وتسع عائلات أخرى كانت متواجدة في الجزائر، كانوا يملكون موارد مالية كافية، (Eric Maye, 1995 : 186) وعائلات من إقليم فرانك كونتيه بلغ عددهم 222 فردا. (Jean-Maurice Di Costanza, 2001 : 97)

فشلت تجربة السلطات الفرنسية بتوطين المهاجرين الأجانب القادمين من شمال أوربا، واستبدلتهم هذه المرة بمهاجرين من الألزاس وفرنسا. لكن هل سينجح الوافدون الجدد في هذه النقطة أم لا؟
الخاتمة:

في الختام، نلاحظ أن الاستعمار الفرنسي خلال مرحلة حكم الجمهورية الثانية، بدأ حملته الاستيطانية بسهل المتيجة، أخصب

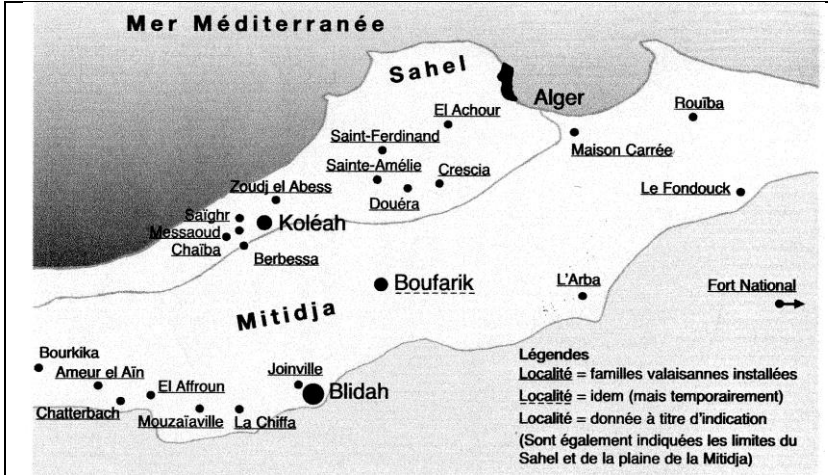
أراضي الجزائر لتجسيد مشروعه، حيث أقيمت معظم القرى الزراعية فيه، وعلى أراضي الجزائريين المغتصبة، مثل ما حصل بمركز "حمر العين" التي أنشأ على بلاد سيدي الشريف، من أجل استيعاب عمال فرنسا الثائرين.

وبعدما بقي المركز فارغا لأكثر من سنة، عوضت فرنسا المستوطنين الفرنسيين بمهاجرين سويسريين من إقليم فاله، المحرومين، فمنحتهم إلى جانب الدعم المادي مجموعة من الامتيازات، فشهدت سنة 1851 قدوم طوفان بشري هائل من منطقة فاله السويسرية، وجه أغلبهم إلى "حمر العين".

عاشت الجالية السويسرية بالمركز خلال النصف الأول من السنة في وضع صحي جيد، والذي تدهور مع حلول فصل الصيف، بسبب الأمراض المنتشرة في أوساطهم، كما أنهم لم يتأقلموا مع الجو الحار السائد بالمنطقة، خلافا لما ألفوه في سويسرا. فأجبر هذا الوضع أغلب المستوطنين على المغادرة والعودة إلى بلادهم، وتسجيل عدد كبير من حالات الوفيات في أوساطهم.

وفي الأخير، فشل المشروع الاستعماري لتعمير "حمر العين" بجالية سويسرية، غير مثابرة، لا تتحمل المشقة، قادمة من مناخ شمال أوربي يختلف كثيرا عن المناخ السائد في شمال إفريقيا، فاستوجب الأمر تعويضهم بمهاجرين من الألزاس وجنوب فرنسا، ذوو عزم.

مركز "حمر العين" ومراكز المستوطنين السويسريين في سهل المتيجة عام 1851.



المراجع:

-Maye Eric, (1995), **L'émigration valaisanne en Algérie au XIXe siècle**, mémoire de licence, l'université de fribourg, Suisse, p181.

المراجع:

-آجيرون شارل روبير، **تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبدايات الاستعمار (1827- 1870)**، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، ج1، الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

-بن داهة عدة، (2008)، **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830- 1962)**، ج1، الجزائر: المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

-حسيني عائشة، (2012-2013)، **الاستيطان الأوربي بسهل المتيجة (1830- 1870)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في (التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة وهران، الجزائر.

-Bérard Victor, (1867), **Indicateur général de l'Algérie, description géographique, Historique, et Statistique toutes les localités comprises dans les trois provinces**, 3^{eme} éditions, Alger : Bastide libraire éditeur.

-Di Costanza Jean-Maurice, (2001), **allemands et suisses en Algérie (1830-1918)**, Nice, France : édition Jacques Gadini.

-documents diplomatiques suisses (1848-1865), volume 1, (19 janvier 1852), dodis, E2/1216, **Le Consul des Etats-Unis à Alger, faisant fonction de Consul de Suisse, Stuckli, au Conseil fédéral.**

-documents diplomatiques suisses (1848-1865), volume 1, (20 mai 1851), dodis, E2/1361, **Le Consul de Suisse à Marseille, Th. Brenner, au Conseil fédéral.**

-Guichonnet Paul, (1972), «**les Valaisans et la colonisation de la Mitidja** », Revue genevoise de géographie, tome 112, pp. 17-37.

-Maye Eric, (1995), **L'émigration valaisanne en Algérie au XIXe siècle**, mémoire de licence, l'université de fribourg, suisse.

-Rasteil Maxime, **a l'aube de l'Algérie française, le calvaire des colons de 48**, (1930), paris : Eugène Figuière.

للإحالة على هذا المقال:

- محمد سليماني، علي بشير بلمهدي، (2021)، «المركز الاستيطاني "حمر العين" من خلال بعض وثائق الأرشيف السويسري سنة 1851». **المواقف**، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص.ص 948-963.